

الطفل بين التنشئة الاجتماعية ومنصات التواصل الاجتماعي رؤية سوسيو دينية

The child between socialization and social media platforms A Socio-Religious Vision

د/ اليمين شعبان

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية - جامعة عباس لغرور خنشلة

chabanelyamine1952@yahoo.com

تاريخ الإرسال: 2021/01/01 تاريخ القبول: 2021/04/18

الملخص:

تعتبر الأسرة من أهم مؤسسات البناء الاجتماعي وجماعة اجتماعية أساسية ودائمة ومن المنظور الإسلامي فهي أسمى من أن تكون عبارة عن وسيلة لإنجاب الأطفال بل الخلية الاجتماعية الأساسية والأولى التي يقوم على أساسها المجتمع وهي بهذا تعد الوسط الذي يتلقى الفرد فيه التنشئة والدروس الأولى في الحياة وهي كمؤسسة اجتماعية تخضع إلى تأثير التطورات والتغيرات الاجتماعية والثقافية الحاصلة وتنزع نحو التقلص في الوظائف لتقوم مقامها مؤسسات اجتماعية أخرى وتعد التنشئة الاجتماعية للأطفال من أهم هذه الوظائف وأمام ما يشهده العالم من تأثيرات ناجمة عن الثورة المعلوماتية المتواصلة والآثار التي تتركها هذه الوسائل التكنولوجية الحديثة على الأسرة والأطفال يمكن أن نتساءل عن حدود هذه الآثار ومدى تكيف الطفل مع حتمية التعرض لهذه الوسائل (منصات التواصل الاجتماعي) والحفاظ على مبادئ وقيم المجتمع وتراثه الحضاري والثقافي.

الكلمات المفتاحية: الأسرة؛ التنشئة الاجتماعية؛ الإنترنت؛ منصات التواصل الاجتماعي.

Abstract:

The family is one of the most important institutions of social construction and a social group basic and permanent and from the Islamic perspective it is higher than to be a means of having children but the basic social cell and the first on which the society is based, and it is in this way the medium in which the individual receives upbringing and the first lessons in life and is as a social institution subject to the impact of developments and social and cultural changes taking place and tends to shrink in the functions of the status of other social institutions and prepare shaping Social for children is one of the most important of these functions and in the face of the effects of the continuous information revolution and the effects of these modern technological means on the family and children can be questioned about the limits of these effects and the extent to which the child adapts to the imperative of exposure to these means (social media platforms) and the preservation of the principles and values of society and its cultural and cultural heritage.

Key words: Family, Socialization, Internet, Social Media Platforms.

مقدمة:

تعتبر التنشئة الاجتماعية احد أهم مراحل تشكيل شخصية الطفل ، لذلك أولتها الدراسات الاجتماعية والنفسية كل العناية والاهتمام والعمق والتشخيص، وإذا كانت هذه العملية الاجتماعية تقوم بها الأسرة التي تعد من أهم المؤسسات الاجتماعية وجماعة اجتماعية أساسية التي يتكون منها البناء الاجتماعي وما يأتي بعدها من مؤسسات المجتمع المساهمة في تشكيل شخصية الطفل، فإننا اليوم أمام كيانات افتراضية ولدت من رحم الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) وهي منصات التواصل الاجتماعي التي أصبحت اليوم صاحبة النفوذ في عملية التنشئة الاجتماعية بما تملك من قوة التأثير العقلي والعاطفي والسلوكي.

وفي هذا السياق وللوقوف على مدى تأثير شبكات التواصل الاجتماعي (منصات التواصل الاجتماعي) على العلاقات الأسرية والتنشئة الاجتماعية للأطفال الذين يواجهون أو يتعاملون مع هذه التقنيات التكنولوجية الاتصالية الحديثة.

سوف نحاول معرفة كنه وطبيعة المخاطر التي يتعرض لها مستعملو المنصات التكنولوجية وموقف وتعامل الأسرة إزاء ذلك من خلال تساؤل أساسي مؤداه:

- كيف تتعامل الأسرة مع هذه الوسائل التكنولوجية الحديثة؟

وأسئلة أخرى متفرعة عنها وهي:

- ما مدى الآثار المترتبة على ذلك؟ وكيف يمكن أن توفق الأسرة بين التنشئة الاجتماعية السليمة للأطفال وحتمية التعرض لهذه الوسائل التي تعد منصات التواصل الاجتماعي أحدثها؟ وما مدى الاستفادة منها دون الذوبان في ما تحمله رسائلها من مضامين وقيم؟

ويهدف هذا الموضوع بشكل أساسي إلى الإحاطة بأهمية الأسرة باعتبارها الرافد الأول والأساسي في التنشئة الاجتماعية للأطفال، من خلال مرافقتهم أثناء الولوج المستمر والمتواصل باستخدام منصات التواصل الاجتماعي نظرا لما تتركه من آثار اجتماعية ونفسية ووجدانية سلبية التي تصل في بعض الأحيان إلى الإخلال بالتوازن والنمو السليم للطفل.

تم إتباع في مناقشة هذا الموضوع تطبيق منهج الوصف والتحليل والاعتماد على قراءات سوسيو دينية لإدراك طبيعة الأثر وكيفية التعامل الصحيح مع المنصات التكنولوجية بحيث يمكن الاستفادة من منافعها دون الانسلاخ عن مقومات وعناصر الهوية المكتسبة وقيم المجتمع المستمدة من الشريعة الإسلامية السمحاء التي تعد الحصن المنيع ضد كل اختراق لمقومات الأمة لأن من يتبع كتاب الله وسنة رسوله، ويعمل بهما لن يزيغ ولن يضل الطريق أبدا.

وتضمن هذا الموضوع العناصر الآتية: (الأسرة عبر التاريخ، الأسرة في الإسلام، التنشئة الاجتماعية، التنشئة الاجتماعية من منظور إسلامي، منصات التواصل الاجتماعي .. بين المنافع والمضار، دور الأسرة في صيانة وتحسين الأطفال).

أولا: الأسرة عبر التاريخ

تعد الأسرة من أهم المؤسسات الاجتماعية وجماعة اجتماعية أساسية ودائمة تمثل نطاقا اجتماعيا رئيسيا عبر الصيرورة التاريخية لبني البشر ونجد أن العلماء والمفكرين يرون بأن الأسرة ليست أساس وجود المجتمع فحسب بل هي مصدر الأخلاق والدعامة الأولى لضبط السلوك والإطار الذي يتلقى فيه الإنسان أول دروس الحياة وربما كان ذلك هو مجمل منظور علم الاجتماع إلى الأسرة باعتبارها نظاما اجتماعيا ومع ذلك فإن رواده لم يهتموا كثيرا بالوحدات الاجتماعية الصغيرة كالأسرة في تحليلهم للمجتمع⁽¹⁾.

ويرى الكثير من المؤرخين وعلماء الأنثروبولوجيا أن الأسرة تاريخيا مرت بمراحل إلى أن أصبحت على الشكل والتركيب الحالي، وتتمثل هذه المراحل في الآتي:

الطفل بين التنشئة الاجتماعية ومنصات التواصل الاجتماعي

- المرحلة الأولى الشيعوية الجنسية: التي يمكن أن يعرف فيها الإنسان نظام الزواج، وكانت العلاقة فيها بين الرجل والمرأة حرة طليقة من أي قيد.

- المرحلة الثانية الزواج الجمعي: الذي يمثل زواج عدد من الرجال بعدد من النساء.

- المرحلة الثالثة الأموسية: حيث كانت القرابة تتبع فيها النسب للأم.

- المرحلة الرابعة البطريركية: حيث كانت القرابة تتبع فيها النسب للأب

- وفي الأخير المرحلة الخامسة يصل المجتمع إلى الأسرة الثنائية المتكونة من الأب والأم⁽²⁾.

ونجد أن الدراسات الاجتماعية للأسرة لم تر انتعاشا إلا في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين حيث نجد علماء الأنثروبولوجيا وعلماء الآثار الذين أولوا اهتماما لدراسة الأسرة في الثقافات البدائية وفي الحضارات القديمة وانطلاقا من هذا الوقت أخذت دراسة الأسرة تحتل اهتماما ومكانة هامة في العلوم الاجتماعية وقد أثار مؤلف "إدوارد وستر مارك" EDWARD WESTER MARK تاريخ الزواج الإنساني (THE HISTORY OF HUMAN MARIAGE) اهتماما كبيرا كمدخل لدراسة الأسرة⁽³⁾.

وما يلاحظ أن نظام الأسرة لدى الشعوب والأمم تستمد أحكامه انطلاقا من عاداتها وتقاليدها ومجمل القيم الحياتية للاستمرار في الوجود وعرفت الأسرة تغيرات عبر مختلف المراحل التاريخية المتعاقبة وخصوصا في المجتمعات المتقدمة وخاصة خلال القرن الماضي حيث طرأت على مؤسسة الأسرة تغييرات مستمرة ومتواصلة من حيث الحجم والوظائف وأشكال العلاقات والتفاعلات والارتباطات ورغم كل هذه التغيرات تبقى الأسرة تشكل المحور الرئيسي للحياة الإنسانية ولم يقتصر التغيير على الأسرة في المجتمعات الغربية المتقدمة فحسب بل شمل كل المجتمعات البشرية ولكن بدرجات متفاوتة.

ومع هذا التغيير الذي مس جوانب كثيرة في الأنساق الاجتماعية التي تعد الأسرة واحدا منها نجد أن وظائفها وأشكالها تخضع إلى تأثير التطورات والتغييرات الاجتماعية والثقافية الحاصلة وتباين الوظائف بتباين المراحل التاريخية وتفاوت درجة تطور المجتمعات البشرية؛ ومن هذا المنظور فإن الأسرة في حركية تطورها التاريخي تنزع نحو التقلص في الوظائف لتقوم مقامها مؤسسات اجتماعية أخرى فالأسرة كانت في القديم تضطلع تقريبا بمعظم الوظائف التي تؤديها في الوقت الراهن المؤسسات الاجتماعية ذات الصلة وفي هذا الشأن كلفت لجنة من الباحثين الأمريكيين سنة 1933 للقيام بدراسة من أجل معرفة الوظائف التي تقوم بها الأسرة حيث توصلت الدراسة إلى أن الأسرة الأمريكية تؤدي الوظائف التالية⁽⁴⁾: (وظيفة الإنجاب، الوظيفة الاقتصادية، الوظيفة التربوية والتعليمية، الوظيفة الدينية والحماية، الترفيه، وظيفة منح المركز الاجتماعي، توفير الصحة للفرد).

ومنذ ذلك الوقت إلى يومنا هذا عرفت الأسرة الأمريكية تقلصا كبيرا في عدد الوظائف قياسا بالمرحلة السابقة وفي هذا السياق يرى موسجراف MUSGRAVE أن الأسرة المعاصرة تقوم بثلاثة وظائف أساسية وهي: إشباع الغريزة الجنسية، إشباع الاحتياجات الاقتصادية، القيام بالتنشئة الاجتماعية⁽⁵⁾.

ثانيا: الأسرة في الإسلام

نظرا للأهمية التي تحتلها الأسرة في حياة الإنسان جاءت أحكامها في التشريع الإسلامي في القرآن الكريم وفي السنة النبوية الشريفة بكل ما تتضمنه من زواج وطلاق ووصية وميراث وحضانة ورضاع ونفقة وولاية على النفس وولاية على المال جاءت مفصلة واضحة تبرز أهمية دورها في بناء الأفراد والجماعات⁽⁶⁾. ومن هذا المنطلق فالأسرة من وجهة نظر الدين الإسلامي أسمى من أن تكون عبارة عن وسيلة لإنجاب الأطفال بل تعتبر الخلية الاجتماعية الأساسية والأولى التي يقوم على أساسها المجتمع فيصلح بصلاحها أو تعثره اختلالات وهزات لمرض يصيبها مصداقا لقوله عز من قائل: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: 21).

بذلك نجد أن من أهم مقومات وأهداف الأسرة المسلمة السعي إلى تحقيق الرحمة والمودة لبلوغ مجتمع قوي وفاضل ومتماسك والدعوة إلى البر بالوالدين؛ ولن يتأتى ذلك سوى من التنشئة الدينية والاجتماعية الصحيحة لقوله تعالى: ﴿وَخُفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (الإسراء: 24).

وهنا نلاحظ أن الشريعة الإسلامية السمحاء قد أولت أهمية بالغة للأسرة رغم عدم وجود هذا المصطلح في القرآن الكريم أو في السنة النبوية العطرة اسما أو صفة لنظام الزوجية أو غيره؛ لكن القرآن الكريم جاء شريعة للدين والدنيا وقرر تشريعات للفرد والمجتمع من النظم والقواعد ما يكفل الحياة الكريمة المستقرة للبشرية جمعاء.

وفي ظل ذلك حظيت الأسرة باعتبارها الخلية الأولى في النظام الاجتماعي باهتمام القرآن ولما كانت المرأة تشكل الدعامة الأساسية والرئيسية في بناء الأسرة فقد تحصلت على حقوق كاملة غير منقوصة في الوقت الذي كانت فيه المرأة في الغرب تباع وتشتري كالسلعة؛ وقد عمل الفقهاء المؤسسون للمذاهب الفقهية على التركيز على أهمية الحقوق والواجبات لتضامن الأسرة وسلامة وتماسك المجتمع ومن هنا نجدهم قد ركزوا على التشريعات والقوانين أي نظام الأسرة وسار على خطاهم الفقهاء على مر العصور وقد أشار القرآن الكريم للزوجين ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ (الحجرات: 13)، كما أشار للزوج ادم عليه السلام ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ (البقرة: 34).

وما يلاحظ من خلال تراث الفقهاء والمفكرين الذين أسسوا للمذاهب الفقهية ومدارس التفسير في العهود الأولى لظهور الإسلام أنهم لم يكونوا يهتمون بإيجاد مصطلح يسمى به نظام الزوجية وما يترتب عليه من ذرية وسهر ونسب بل ركزوا على الأحكام والتشريعات المتعلقة بالعلاقات الزوجية تكويناً وفروعاً وتنظيماً⁽⁷⁾، وعلى النهج ذاته سار المفسرون السابقون حيث ركزوا على تفسير ما يتصل بالزوجية والزواج في سياقه من الآيات وبهذا تكون الأسرة من المنظور الإسلامي المستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة قد عكست نظرة كلية وشمولية للأسرة.

ثالثاً: التنشئة الاجتماعية

إن ما يهم في موضوع الوظائف التي تقوم بها الأسرة بهذا الخصوص، هو الوظيفة التربوية والتنشئة الاجتماعية التي يجمع الباحثون والمختصون في مختلف الميادين والمجالات العلمية على الأهمية الكبرى للدور الذي تؤديه الأسرة في هذا المجال ويتوقف أثر الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية على نسق مجموعة عوامل بنوية مكونة لها، كالأصل الاجتماعي ومستوى الدخل والمستوى التعليمي للأبوين وحجم الأسرة والعلاقات القائمة بين أعضاء الأسرة والمفاهيم والقيم التي تتبناها الأسرة وعلى وجه الخصوص المفاهيم التي تتصل بطرق وأساليب التنشئة الاجتماعية.

وفي هذا السياق نجد "بيرت" يؤكد على أهمية هذه العوامل بالنسبة للأسرة بقوله: "إن العوامل الأكثر خطراً وتدميراً على حياة الفرد هي العوامل التي تدور حول حياة الأسرة في الطفولة"⁽⁸⁾، ويشكل النسق الأبوي أهمية كبرى، حيث يعتمد المدخل الاجتماعي النفسي الذي ينظر إلى التفاعل بين الآباء نظرة ليست بمعزل، بل يتم داخل النظام الاجتماعي الكبير، ولهذا يعد نسق الأسرة المحيط المباشر الذي يتم داخله النظام الاجتماعي الكبير، ولذلك يعتبر النسق الأسري بمثابة المحيط المباشر الذي يتم فيه التفاعل بين الآباء والأبناء ويطلق على ذلك مفهوم التنشئة الاجتماعية socialization⁽⁹⁾.

و يرى ألكين Elkin وهاندل Handel بان التنشئة الاجتماعية الصحيحة والسليمة تتطلب شروطاً ثلاثة تعتبر أساسية لبلوغ الهدف المنشود⁽¹⁰⁾، ويتضمن الشرط الأول، على كون الطفل حينما يولد يكون في مجتمع موجود فعلاً، Existing Society ولهذا المجتمع قواعده ومعاييره وقيمه واتجاهاته وله بناءات اجتماعية عديدة ونمطية وتخضع للتغيير باستمرار؛ وأن هذا الطفل ليس مهياً اجتماعياً لإدراك هذه العمليات

الطفل بين التنشئة الاجتماعية ومنصات التواصل الاجتماعي

والبناءات أو التغيرات وتكون وظيفة أنماط التفكير والشعور والعمل في مثل هذا المجتمع هي تحديد الوسائل والطرق التي يجب أن يمر بها هذا الطفل وأن هذه الوسائل والطرق هي التي تشكل عملية التنشئة الاجتماعية. أما الشرط الثاني للتنشئة الاجتماعية الملائمة والمناسبة هو الميراث البيولوجي الذي يسمح لعمليات التعلم بالحدوث، والشرط الثالث لحدوث التنشئة الاجتماعية يطلق عليه الطبيعة الإنسانية وهي عوامل معينة وعالمية بين البشر، أي أنها تميز بني الإنسان في حالة مقارنتهم بالكائنات الحية الأخرى (11).

ويؤدي كل عامل أسري دورا خاصا في عملية التنشئة الاجتماعية ويتكامل ذلك الدور مع مجموعة أو جملة من التأثيرات التي تمارسها العوامل الأخرى وتحقق هذه العوامل المختلفة للأسرة نوعا من التوازن والتكامل في التأثير على شخصية الطفل وتضم الأسرة بحكم بنيتها ووظائفها نسفا من العلاقات التي تقوم بين أفرادها.

وتعتبر العلاقة القائمة بين الأبوين المحور الأساسي لنسق العلاقات التي تقوم بين أفراد الأسرة والقاعدة الأساسية لعملية التنشئة الاجتماعية حيث تعكس العلاقة الأبوية ما يطلق عليه (الجو العاطفي) للأسرة الذي يؤثر تأثيرا كبيرا في عملية نمو الطفل نفسيا ومعرفيا كما تمثل العلاقة الأبوية نمطا سلوكيا لأفراد الأسرة ويعني ذلك أن الطفل يكتسب أنماطه السلوكية من خلال تمثل العلاقات السلوكية القائمة بين أبويه (12).

رابعاً: التنشئة الاجتماعية من منظور إسلامي

ومن المنظور الإسلامي للأسرة نجد أن أهم العناصر أو الركائز التي يقوم عليها بناء الأسرة والحفاظ على بقائها واستمرارها، هو الحفاظ على هويتها وخصائصها، التي تركز على العناية الفائقة بتربية الأبناء وتعليمهم وتنشئتهم تنشئة اجتماعية صالحة وتعليمهم، وهنا يشير الأستاذ وهبة الزحيلي إلى كون التربية أعم وأوسع معنى من التعليم، فالتربية هي تنشئة الأبناء حتى يبلغوا سن الرشد، وتشمل التربية المادية والجسمية والنفسية والروحية والوجدانية والعقلية والسلوكية والاجتماعية، والتعليم يعتبر جزءا من التربية، حيث يتضمن نقل المعلومات التي يحتاج إليها الأبناء في حياتهم اليومية لإصلاح أمور حياتهم من المعلم إلى المتعلم، ولهذا فالتعليم يقتصر على الجانب العقلي، بينما التربية تشمل الجسم والعقل والنفس والروح وجميع جوانب الكائن الحي (13).

وفي هذا المجال ينص القرآن على ضرورة الحرص على تربية الأبناء وتنشئتهم تنشئة صالحة، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا الصِّيَامَ وَالزَّكَاةَ وَأَدِّبُوا أَبْنَاءَكُمْ بِالْحَقِّ وَاصْبِرُوا لِلْعَذَابِ أَلِيمًا﴾ (التحریم: 6).

فالتربية والتعليم عنصران أساسيان لتنمية الأبناء وتنشئتهم تنشئة اجتماعية صالحة وسليمة، وفي هذا المعنى قال النبي ﷺ: «ما نحل والد ولدا أفضل من أدب حسن» وقال الغزالي رحمه الله: «اعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدها، والصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نقش، ومائل إلى كل ما يمال به وإليه، فإن عود الخير، وعلمه، نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه أبواه، وكل معلم له ومؤدب، وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له» (14).

لكن وأمام التغيرات السريعة والمتعاقبة التي تحدث في المجتمعات البشرية نتيجة تطور تكنولوجيا الإعلام والاتصال وثورة المعلومات التي شهدها العالم أواخر الألفية الثانية، حيث ما تزال هذه الثورة المعلوماتية متواصلة إلى يومنا هذا وما أحدثته من تأثيرات كبيرة على نمط الحياة الاجتماعية والأسرية، إذ لا يمكن لأي مجتمع أن يعيش بمنأى عن هذه التأثيرات والتغيرات الحاصلة.

ثورة لم تحول العالم إلى قرية صغيرة فحسب، كما عبر عن ذلك "مارشال ماكلوهان" بل أكثر من ذلك، حولته إلى عمارة مكونة من شقق يشغلها أشخاص منعزل بعضهم عن بعض، حسب تشبيهه "ريشارد بلاك" (15).

ومن هذا المنطلق يمكن أن نتساءل عن أثر هذه الوسائل التكنولوجية الحديثة على الأسرة والأطفال، وما هي حدود هذه الآثار؟ وهل يمكن للأسرة أن توفق بين التنشئة الاجتماعية السليمة المستمدة من مبادئ وقيم المجتمع وتراثه الحضاري والثقافي، وبين حتمية التعرض لهذه الوسائل التي تعتبر منصات التواصل الاجتماعي من أحدثها، فبعد أن كان جهاز التلفزيون يمثل الأب الروحي للطفل⁽¹⁶⁾، وحلت محله الشبكة العنكبوتية "الإنترنت" حسب العلماء الأمريكيين .

خامساً: منصات التواصل الاجتماعي ... بين المنافع والمضار

سوف نحاول من خلال هذا الموضوع، استعراض بعض المخاطر التي أصبحت تشكل هاجس الآباء والمنظمات والهيئات والمصالح، ومن بينها منظمة الأمم المتحدة للطفولة "اليونيسيف" كون الطفل لم يعد ضحية بعض التطبيقات الملغونة "مثل الحوت الأزرق" وغيرها من التطبيقات، بل صار لعبة في عالم افتراضي مفتوح ولا حدود أو مواقع له، فبإمكانها تدمير كل القيم والمبادئ التي اكتسبها الطفل من خلال الأسرة، ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل نجده يفسح المجال لتوظيفه واستغلاله وتحريف سلوكه وتصرفاته، وفي مقابل ذلك فإن الطفل يمكن أن يستفيد من التكنولوجيا في حالة الاستعمال بصفة عقلانية ومنضبطة تحت مراقبة ومتابعة وإشراف الأولياء، وهذا يقودنا مرة أخرى إلى طرح السؤال التالي: هل تقوم الأسرة اليوم بهذا الدور؟

وللإجابة على هذا السؤال يمكن الإشارة إلى أن عدد الجزائريين المتصلين بالإنترنت يصل إلى 18 مليون شخص من بينهم 16 مليون يلجؤون إليها بواسطة الهاتف النقال وتمثل فئة الشباب الذين تتراوح أعمارهم ما بين (15-24 سنة) نسبة 71% من مستخدمي الإنترنت⁽¹⁷⁾.

ونلاحظ حسب الأرقام المقدمة من طرف ممثل اليونيسيف في الجزائر، أن الأرقام قد عرفت انفجارا كبيرا خلال السنتين الأخيرتين، ومثلت عالما موازيا يستوجب التعامل معه بحيطه وحذر شديدين، لكن هذا لا يجب أن يؤدي ويقود إلى الاقتناع وعدم الاستعمال والاستفادة وتوظيف ذلك في الجوانب السلبية، وما يمكن ذكره أن الأطفال والمراهقين المستعملين والمعرضين لمخاطر الفضاء الافتراضي، يعتبرون الفئة الأكثر هشاشة وعرضه للمخاطر، خاصة الشباب، وتكمن هذه المخاطر في التعاليق والتحرشات ذات الإيحاءات والأوصاف الجنسية والأخلاقية.

وهذا ما توصل إليه تحقيق أجرى سنة (2017)، في إطار حملة "تشايد أونلاين بروتكشن"، أي جماعة الأطفال المتصلين حسب تقرير اليونيسيف، ومن هنا فإن المجتمع بصفة عامة، وأساسه الأسرة لا بد أن يحترز ويولي أهمية كبيرة لهذا الموضوع، والاهتمام بتحليل هذه التحولات والآثار الناجمة عنها بالنسبة للمجتمع. وقد أبرز تقرير اليونيسيف أن هناك معادلة أو ثنائية تتمثل في أطفال راضون وأسر خائفة، فالأسر تبدي مخاوفها وقلقها مما يحدثه ويتركه الفضاء الافتراضي؛ وفي المقابل نجد أن الأطفال راضون لأنهم ينظرون إلى الفضاء الافتراضي كونه يمثل ملاذاً ومتمعة لا بد منها.

وعلى هذا يتطلب من المجتمع وخاصة الهيئات الحكومية الرسمية، القيام بدراسات علمية وتحليل الرسائل والمضامين التي تحملها هذه الرسائل الموجودة على مستوى الفضاء الافتراضي، من خلال الوصول إلى معرفة ماهية العلاقة الموجودة بين الطفل والعالم الافتراضي، مع ضرورة القيام بتحليل علمي وموضوعي لهذه العلاقة بشكل جيد بهدف الوصول إلى معرفة العناصر والمتغيرات المؤثرة فيها والتحكم في اتجاهاتها، وتتمثل هذه العناصر في معرفة خصائص الإنترنت وسياسات استعمالها والأهم والأخطر من ذلك الآثار الفكرية التي تتركها على الأطفال.

هذه الأسئلة التي تحيط بظاهرة منصات التواصل الاجتماعي، يمكن أن تشكل إطاراً معرفياً وتحدد رؤية تسمح بوضع سياسات من شأنها الحد أو التقليل من الآثار السلبية الناجمة عن استعمال الشبكة العنكبوتية – الإنترنت- غير المقيدة أو غير المراقبة.

وفي هذا الجانب، توصلنا من خلال دراسة ميدانية، وهي عبارة عن رسالة دكتوراه إلى أن التعرض لوسائل الاتصال الحديثة، ومنصات التواصل الاجتماعي بصفة انفرادية، أي بدون مراقبة ومرافقة الأولياء، يؤثر سلبا وبشكل نسبي على الوعي والتماسك الأسري ومن آثاره الانفصال المادي، أي التباعد المكاني داخل المنزل لتنوع وسائل الاتصال وتعدد استخداماتها وخاصة الإنترنت، إلى جانب الانفصال الذهني، أي عدم شعور كل طرف بوجود الطرف الآخر، لتركيز الفرد على الوسيلة الاتصالية، إلى جانب ذلك الشعور بالإهمال وقضاء أفراد الأسرة معظم الوقت منفصلين عن بعضهم البعض⁽¹⁸⁾.

وهذه المؤشرات مجتمعة تقود إلى تقليص التفاعل الاجتماعي والتواصل بين أفراد الأسرة، وينعكس سلبا على دور الأسرة في التنشئة الاجتماعية.

وقد بينت الدراسة المذكورة أن نسبة 79.25% من الأسر تستخدم الإنترنت من بينها نسبة 39.87% تستعمل شبكة التواصل الاجتماعي "Facebook" ونسبة 70.75% من المستعملين للإنترنت يستعملونها بشكل انفرادي أي دون متابعة أو مراقبة من طرف الأولياء، وان هناك نسبة قدرها 78.30% من أفراد العينة المدروسة يصرحون ويقرون بأن استعمال شبكات التواصل الاجتماعي يؤدي إلى قلة التواصل والتفاعل بين أفراد الأسرة، وفي دراسة أجريت بأمريكا على عينة من 120 أسرة، بينت نتائجها بأن كثافة استخدام شبكات التواصل الاجتماعي والتلفزيون تشعر المستخدم أو المتعرض لهما بالوحدة والعزلة⁽¹⁹⁾.

وفي سياق هذه المعطيات، فإن ذلك يقود إلى طرح تساؤل مؤداه، كيف يمكن للأسرة في ظل هذه المتغيرات الحاصلة أن تؤدي وظيفة التنشئة الاجتماعية والتربوية وفق ما تقتضيه تعاليم دينها وتشريعاته دون أن تخل بحقوق الطفل في الاستفادة من الوسائط والمنصات التكنولوجية المفيدة.

ولكنها تعتبر مجالا مفتوحا أمام كل الاحتمالات من تصرفات وسلوكيات غير أخلاقية، تأخذ أشكالاً عدة، مثل نشر مضامين إباحية وتوظيفها كمنصة لتحويل الأطفال القصر والمراهقين واستغلالهم في مجالات غير مشروعة، وغير قانونية، وتقودهم إلى الانحراف.

وللإجابة على هذا السؤال المعقد، يمكن للمجتمع أن ينظر إلى كون هذه المنصات لها استعمالات عديدة ومتشعبة، إذ تعد ملاذا ومتعة لدى الطفل والشباب، وهي غير قابلة من الناحية الموضوعية للخضوع للرقابة المطلقة، ولهذا فإن المشروع الفاعل والمهم يتمثل في العقل الجماعي للمجتمع، ويتمثل ذلك في كفاءات تطوير مناعة الأطفال وتدريبهم على التحليل والتفريق أو التمييز بين الأشياء وتعليمهم مهارات ممارسة الرقابة الذاتية والنأي بالنفس أمام كل الأخطار التي يمكن أن تهدد كيان الأطفال وثقافتهم وهويتهم، وهذا يقود إلى الخروج من مدارات منافع هذه الوسيلة نحو مساوئها⁽²⁰⁾.

سادسا: دور الأسرة في صيانة وتحصين الأطفال

وهنا يأتي دور الأسرة التي يجب أن تقوم بدورها الوظيفي في هذا المجال، الدور الذي يكمن في تحصين الطفل من خلال تربية سليمة تمنحه مناعة كبيرة ضد كل ما هو دخيل على حياته ومن شأنه أن يؤدي إلى تدميره، إلى جانب الاهتمام والإلمام بالرسائل والمضامين التي يتعرض لها يوميا.

يمكن أن نشير إلى محاور في تقرير ماك برايد (Mc BRIDE) الذي توصل فيه إلى خلاصات هامة حول المجتمعات التقليدية وضمنها المجتمعات الإسلامية، إضافة إلى تقارير مكاتب الدراسات والاستعلامات الأمريكية حول واحد من أهم البلدان الإسلامية وهو إيران الذي حاولت الولايات المتحدة الأمريكية خلال السبعينات وما زالت إلى يومنا هذا تتميطه على الشكل الأمريكي باستخدام كل وسائل والاتصال ولم تفلح في ذلك⁽²¹⁾.

على الرغم من استخدام كل وسائل الاتصال وأشكال التأثير التي نظمتها الآلة الأمريكية للاتصال ومصالح الاستعلامات، بالرغم من كل هذا لم تستطع أمريكا تتميط المجتمع الإيراني على الطريقة الأمريكية،

ولم تستطع محو معالمه الإسلامية العريقة، بل على عكس ذلك كان رد فعل الشعب الإيراني هو التمسك والعودة إلى منابع الدين الإسلامي الذي يشكل الحصن الحصين لكل من يتمسك بتعاليمه السمحة. إن الحلول الجذرية الراديكالية المتمثلة في منع الطفل من هذه الوسيلة أو المنصة التكنولوجية، لها انعكاسات جد خطيرة على حياة الطفل وتشكيل شخصيته، ومن شأن ذلك عزله عن العالم، ومن هنا لا بد من تركه يساير هذه التكنولوجيا شريطة مراقبته وضبطه بشكل مستمر ويومياً وفسح المجال أمامه للتواصل الحر معه، وهذه هي الوظيفة التي يجب أن تضطلع بها الأسرة، ولا تبقى على الهامش، تاركة المجال للمنصات التكنولوجية تعبت بعقول الأطفال وتدمر شخصيتهم، لأن التربية السليمة والتنشئة الاجتماعية القوية والمرافقة المستدامة هي الحماية والتحصين.

ونختتم هذا الموضوع بالحديث النبوي الشريف «مروا أبناءكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر»⁽²²⁾.

إن الإعداد لمرحلة البلوغ وما يليها تربوياً وشرعياً، وتدريبه على ممارسة العبادة، لتصبح جزءاً حيويًا وعادة متأصلة من حياته وعمله؛ ولتذكره بضرورة الصلة بالله والاستقامة على أمره، واجتناب المعاصي والمنكرات⁽²³⁾، وهكذا يتم تحصين الطفل منذ الصغر حتى يتمكن من التعامل مع كل المتغيرات الحاصلة دون أن يفقد شخصيته وهويته ويذوب في الآخر.

خاتمة:

تبقى الأسرة تشكل الحصن الأساسي والرئيسي للتنشئة الاجتماعية للأطفال التي تعد من أهم الوظائف التي تضطلع بها منذ القدم إلى يومنا هذا، على الرغم من التغييرات التي مستها، سواء من حيث الحجم أو الوظائف أو الارتباطات وأشكال العلاقات والتفاعلات، وهي بذلك مثل بقية المؤسسات الاجتماعية الأخرى التي تتأثر وتؤثر في النسق الاجتماعي العام.

والأسرة اليوم مطالبة بالتوفيق بين التنشئة القوية والمرافقة الدائمة للطفل وعدم حرمانه من الاستفادة من المنصات التكنولوجية مع مراقبة مضامين الرسائل التي تبعثها هذه الوسائل التكنولوجية الحديثة، فتحصين الأطفال من خلال تعليمهم وتدريبهم على التمييز بين الأشياء الضارة والنافعة أحسن طريقة لتجنب الانقياد وراء ما يدمر شخصيتهم وهويتهم ويخرجهم من مدارات منافع هذه الوسيلة إلى مساوئها، وهذا ما يجب أن تقوم به الأسرة اليوم.

وتعد الشريعة الإسلامية أهم حصن على الإطلاق لتحصين الفرد ضد كل عواتي الدهر وما تنفته هذه المنصات من سموم، لذا يجب على الأسرة المسلمة أن تهتم بتربية ورعاية الطفل لأن ذلك يعد من ركائز ومقومات بناء الأسرة والحفاظ على هويتها وخصائصها، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال التربية السليمة والتوعية وهذا جوهر رسالة الإسلام والشريعة السمحاء التي تستوجب على الأسرة أن تنشئ الطفل تنشئة إيجابية ربانية بغرس أركان الإيمان والعقيدة في نفسه قلباً وروحاً. وإذا تسلح الطفل منذ الصغر بعقيدة الإيمان فإنه سيتعامل مع المادة الإعلامية التي تنشرها منصات التواصل الاجتماعي بعقل ثاقب مميزا بين الغث والسمين وما بين ما هو نافع وضار لأنه مسلح بعقيدة إيمانية راسخة في نفسه وقلبه وعقله وهكذا لن يذوب في المضامين والرسائل الضارة التي من شأنها أن تحيد به عن جادة الصواب.

ونخلص في نهاية هذا المقال إلى الحديث النبوي الشريف الصحيح الذي قد يكون تلقينه للطفل وغرسه في نفسه مستغرقاً وشاملاً لكل شيء، الحديث الشريف أخرجه الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كنت خلف النبي ﷺ يوماً فقال: "يا غلام إني أعلمك كلمات أحفظ الله يحفظك، أحفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فأسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف".

الطفل بين التنشئة الاجتماعية ومنصات التواصل الاجتماعي

من هنا يمكن القول إن الشريعة الإسلامية السمحاء تعد أهم محصن للطفل من كل التبعات الناجمة عن استعمال منصات التواصل الاجتماعي، فالدين الإسلامي يعد حصانة للطفل لتطوير مناعته ويؤهله للتمييز بين الأشياء من خلال المراقبة الذاتية والاحتماء أمام الخطر الذي يهدد ثقافته وهويته وكيانه بل وعقيدته أيضاً، وبهذا فالشريعة الإسلامية بمثابة العماد والركن الذي يمكن الطفل من مواجهة الأفكار والممارسات التي لا تتلاءم مع ثقافة المجتمع.

فالطفل عندما يعي الحديث النبوي الشريف المذكور ويعمل بنصه يكون إيمانه إيماناً راسخاً لا تؤثر فيه متغيرات الزمن وشخصيته قوية لا تتزعزع ويمكنه الوقوف كالطود الشامخ لأن الإيمان سلاح المؤمن الذي يتحدى به كل الصعاب، وبالتالي فإن قيم الإسلام ومبادئه وواقعيته ووسطيته وشموليته وفطريته الطاهرة النقية هي الحل النهائي والأخير لكل عملية تربوية أخلاقية لصياغة الإنسان مصداقاً لقول الرسول ﷺ: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"، وهذا ما نص عليه القرآن الكريم في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: 4).

قائمة المراجع والمصادر

القران الكريم

الحديث النبوي الشريف

الكتب العربية:

- 1- أحمد عزت راجح، أصول علم النفس، المكتب المصري الحديث، الإسكندرية، 1970.
- 2- انطوني عيدنز، علم الاجتماع، ترجمة فايز الصباح، بيروت، مؤسسة ترجمان، المنظمة العربية للترجمة، 2005
- 3- خديجة كزار الشيخ الطيب بدر، الأسرة في الغرب، أسباب تغير مفهومها ووظيفتها، دراسة نقدية تحليلية، دار الفكر، دمشق، 2009.
- 4 - سناء الخولي، الزواج والعلاقات الأسرية، دار النهضة العربية، بيروت، 1983.
- 5- عبد الرحمان الصابوني، نظام الأسرة وحل مشكلاتها في ضوء الإسلام، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 2001.
- 6- عبد القادر القصير، الأسرة المتغيرة في مجتمع المدينة العربية، دراسة ميدانية في علم اجتماع الحضري والأسري، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت، لبنان، 1999.
- 7- عبد الله شمت المجيد وعلي اسعد وطفة، دراسات في سوسيولوجيا التربية، دار الإحصار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2015
- 8- وهبة الزحيلي، الأسرة المسلمة في العالم المعاصر، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2000.

الكتب باللغة الأجنبية:

9- Frederick Elkin AND Gerard Handel" The Child AND SOCIETY ,”The PROCESS of Socialization “ New York Randou House 1972.

الأطروحات والرسائل

- 1- اليمين شعبان، الوعي والتماسك الأسري في ضل وسائل الاتصال الحديثة، دراسة ميدانية عن الأسر بمدينة باتنة، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الحاج لخضر، باتنة، قسم علم الاجتماع والديموغرافيا، 2016-2017.
- مطبوعات وملتقيات ومنشورات
- 11- غيرت شابليبر، المدير الإقليمي لمنظمة الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسيف) لمنطقة شمال إفريقيا والشرق الأوسط، محاضرة عن شبكات التواصل الاجتماعي والأطفال، الخبر، فيفري، 2018.
- 12- وسائل الاتصال الحديثة وأثرها على المجتمعات الإسلامية، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ايسيسكو، 1996/1417.

الهوامش:

- 1- سناء الخولي، الزواج والعلاقات الأسرية، دار النهضة العربية، بيروت، 1983، ص41.
- 2- عبد القادر القصير، الأسرة المتغيرة في مجتمع المدينة العربية، دراسة ميدانية في علم اجتماع الحضري والأسري، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت، لبنان، 1999، ص 42.
- 3- سناء الخولي، نفس المرجع السابق، نفس الصفحة.
- 4- عبد الله شمت المجيدل وعلي اسعد وطفة، دراسات في سوسولوجيا التربية، دار الإعصار للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2015، ص103 .
- 5- نفس المرجع، والصفحة.
- 6- عبد الرحمان الصابوني، نظام الأسرة وحل مشكلاتها في ضوء الإسلام، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 2001، ص21.
- 7- خديجة كرار الشيخ الطيب بدر، الأسرة في الغرب، أسباب تغير مفهومها ووظيفتها، دراسة نقدية تحليلية، دار الفكر، دمشق، 2009، ص30.
- 8- احمد عزت راجح، أصول علم النفس، المكتب المصري الحديث، الإسكندرية، 1970، ص78 .
- 9- سناء الخولي، المرجع سابق، ص231.
- 10- Frederick Elkin AND Gerard Handel" The Child AND SOCIETY,"The PROCESS of Socialization " New York Randoù House 1972, P9.
- 11- سناء الخولي، المرجع سابق، ص233.
- 12- نفس المرجع، والصفحة.
- 13- وهبة الزحيلي، الأسرة المسلمة في العالم المعاصر، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2000، ص26.
- 14- نفس المرجع، والصفحة.
- 15- انطوني غيدنز، علم الاجتماع، ترجمة فايز الصباغ، بيروت، مؤسسة ترجمان، المنظمة العربية للترجمة، 2005، ص511-510.
- 16- عبد الله شمت المجيدل، المرجع السابق، ص209.
- 17- غيرت شابليير، المدير الإقليمي لمنظمة الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسيف) لمنطقة شمال إفريقيا والشرق الأوسط، محاضرة عن شبكات التواصل الاجتماعي والأطفال، جريدة الخبر، فيفري، 2018.
- 18- اليمين شعبان، الوعي والتماسك الأسري في ضل وسائل الاتصال الحديثة، دراسة ميدانية عن الأسر بمدينة باتنة، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الحاج لخضر، باتنة، قسم علم الاجتماع والديموغرافيا، 2016-2017، ص- ص368، 378.
- 19- نفس المرجع، ص385.
- 20- غيرت شابليير، المدير الإقليمي، اليونيسيف، مرجع سابق.
- 21- وسائل الاتصال الحديثة وأثرها على المجتمعات الإسلامية، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ايسيسكو، 1417 هـ/1996، ص-ص160، 161.
- 22- أخرجه أبو داود، وروي بروايات أخرى عند احمد والترمذي والدار قطني.
- 23- وهبة الزحيلي، المرجع السابق، ص-ص29، 28.